قصة الطوفان البابلية:

أثبت (جورج سميث). من منتسبي المتحف البريطاني. أن (قصة الطوفان البابلية) لا تتسم بالأصالة، وذلك نتيجة فك خط الرقيمة الـ ١١ من (ملحمة كلكامش)، وأنها ذات أصل سومري، لا لبس في ذلك ولا غموض. وكان (ارنو بوبيل Arno poebel) قد نشر في سنة ١٩١٤، الثلث الأسفل من رقيمة سومرية ذات ستة أعمدة (هي الآن في مجموعة نفر في متحف الجامعة) خصص الجانب الأعظم منها إلى (قصة الطوفان).

إن (الرقيمة) المذكورة آنفا متكسرة، وعلى الرغم من ذلك فهي تجلو كثيراً مما يتصل بـ (خلق الإنسان)، وأصل (الوشائج البشرية)، وهي تذكر ما لا يقل عن خمس مدن من مدن العراق التي قامت قبل الطوفان، في الأقل.

وبعد (فجوة) تقدر بـ (٣٧ سطراً) تبدأ مدونات الرقيمة؛ لذلك فمض علينا مبتدأ (الأسطورة).

وتبدأ (المدونات) بخطاب (إله) أيا إلى غيره من (الآلهة) ولعله بدأ خطابه قائلاً: إنه يريد إنقاذ البشر من الدمار والهلاك، وأنه. نتيجة ذلك. سيعاود الإنسان بناء المدن والمعابد للآلهة.

ثم تلي ذلك (ثلاثة أسطر) يتعسر وصلها بسياق ما ترويه الأسطورة. والظاهر أنها تتعلق بوصف (الفعال) التي على (المعبود) أن يقوم بها ليجعل أقواله حقة.

وتلي ذلك (أربعة أسطر) تتصل بـ (خلق الإنسان) و بـ (خلق الحيوان) وبـ (خلق النبات)، وإليك العبارة التي تحتويها الأسطر الأربعة المشار إليها آنفا:

(بشرى، في دماره سأعمل

إلى (نتتو: Nintu) سأعيد ما لمخلوقاتي سأعيد الناس إلى مستوطناتهم.

وفي المدن سيبنون الأماكن الخاصة بالشرائع الإلهية.

سأجعل ظلهم مستقراً.

إن أماكن قراراتي سيعثرون عليها في أمكنة خالصة.

لقد وجه الماء الصافي الذي يطفىء النار

لقد أتقن الطقوس ورفع من شأن الشرائع الإلهية

وعلى الأرض قام بـ .... ووضع عليها ....

وبعد (آن) و (انليل) و (انكي)[1] و (ننخورساك).

صاغ البشر، ذوى الرؤوس السود.

ومن الأرض نبتت الخضرة العميمة.

وخلقت الحيوانات، والمخلوقات ذوات الأربع، في السهل، وصورت على أحسن تقويم.

ثم تلي ذلك (فجوة) من نحو ٣٧ سطراً، نعلم، بعدها، أن (ذات الجلال) قد هبطت من السماء وأنه قد تأسست (خمس مدن).

(بعد هبوط ذات الجلال، من السماء وبعد نزول الـ (تيارا) الستة، و (عرش الجلالة من السماء).

قام باتقان الطقوس، ورفع شأن الشرائع الإلهية

وأسس المدن الخمس في ....

أمكنة طاهرة

وأطلق عليها اسماءها وخصصها بوصفها مراكز للعبادة

---

[1] هو الإله (ايا) نفسه ويسمى معبده (أي – ابسو) أي (بيت المياه) إشارة إلى أنه شيد بيته في المياه الأولى التي جسموها بالإله (ابسو) على ما ورد في قصة الخليقة ونسب البابليون إلى هذا الإله زوج وسموها (ننن كي) و (دم كينا)، وهو أب للإله البابلي مردوخ. ومما يجدر ذكره أن (الكون) عند قدامى سكان العراق يتألف من (السماء) و (الأرض) على ما يدل عليه اسم الكون في السومرية وهو: (آن – كي).

أول هذه المدن (أريدو) وقد جاء بها الزعيم نديمد

والثانية (بادتيبرا) وأعطاها الـ....

والثالثة (لاراك) وأعطاها إلى اندربيل خرساك

والرابعة (سيبار) وأعطاها إلى البطل (اوتو)

والخامسة (شروباك) وأعطاها إلى (سود)

وما أن أطلق الأسماء على هذه المدن حتى خصصها مراكز للعبادة

وجاء بـ.....

وأسس نظام تطهير النهيرات)

- ثم تلي ذلك فجوة من (٣٧ سطراً)، ولعلها كانت تتناول (القرار) الذي اتخذته الآلهة بإحداث (الفيضان) وتدمير (بني الإنسان). وما أن يصبح (النص) قابلاً للاستبانة حتى نجد أن بعض الآلهة غير مطمئنة وسعيدة إلى اتخاذ ذلك (القرار) القاسي. ثم أن (النص) عن (زيوسدرا) وهو نظير (نوح) في (التوراة). إنه موصوف فيه بالتقوى ومخافة الله، يرقب (الوحي الإلهي) يأتيه في الأحلام، دوماً. ويتراءى أنه كان يركن مستقراً إلى جدار، ويلقي السمع إلى (صوت الآلهة) يتناهى إليه ويعلمه بأنها اتخذت في (مجلسها) قراراً بإطلاق (الطوفان).

و (تحطيم بذرة الإنسان).

- إن العبارة التي تستطيل وردت على هذا المنوال:

(الطوفان.....

....

عومل على هذا ....

ثم بكى (نينتو) مثل ....

وأرسلت (انانا)[1] الطاهرة تعزية إلى شعبها

ورجع (انكي)[2] إلى نفسه يستشيرها (ان) (انليل) (انكي) و (ننخورساك)ط

آلهة السماء والأرض قد نطقوا باسمي (آن) و (انليل)

ثم أن (زيوسدرا)(*) ، ملك

وباشسبو .....

بنى .... ضخماً

بتواضع وطاعة كان دوما

يأتي بجميع ملوك الأحلام

وإنه بافصاحه عن اسمي السماء والأرض .... جدارا

٥ وألقى السمع (زيو سندرا) وهو واقف إلى جانبه

---

(١) أو (ابنانا) أو (ابنتى) عند السومريين وهي عشتار (التي تمثلها كوكب الزهرة) – ومعنى اسمها (سيدة السماء) وعرفت باسم (عشتاروت) و (عشتوريت) و (فينوس) و (افروديت) عند مختلف الشعوب.

(٢) (ايكي) موصوف في التراث السومري – بالحكمة والدهاء وقسوة الخلق وهي الصفات التي يراد أن يتصف بها المعنى بشؤون الإرواء.

(*) يلحظ أن الاسم ورد في النص السومري المستخرج من نفر (نحو ١٧٠٠ ق.م) بهذه الصيغة على حين ورد في الملحمة البابلية التي يعود تاريخها إلى ما بعد ذلك بقليل (ارا هاسيس: العاقل للغاية) ولعل هذا اسما مستعارا لـ (اوتا – نبشتم).

- قف قرب الجدار، إذ سأقول لك كلمة ....
- خذ (كلمتي).....
- إصغ إلى (تعليماتي)
- بـ.......... سيكتسح (الطوفان) مراكز العبادة.
- ليحطم (بذرة الإنسانية).
- إنه (القرار) و (كلمة مؤتمر الآلهة).

بأمر (أن) و (انليل)

ستختم صفحة جلالها وحكمها.

●وكان مما لابد منه أن يمضي (النص)، فيثبت (تعليمات) صادرة إلى (زيو سندرا) ليبني سفينة ضخمة وينقذ نفسه من الدمار. لكن ذلك مفقود، إذ ثمة (فجوة) أخرى، من ٤٠ سطراً، عند هذه (النقطة) عينها. وما أن يستبين (النص). كرة أخرى. حتى نجد أن (الطوفان) قد دهم. بكل عرام وقوة. (الأرض)، وهاج ماؤه عليها وماج، واستدام ذلك سبعة أيام، بلياليها، ثم يظهر (الإله – الشمس اوتو) مرة أخرى، ومعه الضوء النفيس، ليغمر الأرجاء كلها، وعندها يقف (زيوسندرا) في حضرته ويقدم القرابين.

إن السطور التي تمثل ذلك هي:

(انقضت الأعاصير كلها، بقوة ما بعدها من قوة، وكأنها إعصار واحد....

- وغمر الطوفان. في الوقت نفسه. مراكز العبادة كلها...

- وبعد ذلك، غمر ماء (الطوفان) الأرض واستدام ذلك سبعة أيام وسبع ليال
- وكانت (السفينة الضخمة) تهزها الأعاصير وهي تجري فوق الماء الغمر
- وظهر (اوتو) فسكب الضوء على السماء والأرض معا
- وفتح (زيوسندرا) في (السفينة الضخمة) نافذة
- وأرسل البطل (اوتو) أشعته إلى تلك السفينة الضخمة
- وسجد (زيونسدار- الملك) أمام (اوتو).
- وقتل الملك ثوراً وذبح خروفاً.

●ثم تلي ذلك (فجوة) أيضاً، مؤلفة من ٣٩ سطراً، كرة أخرى، إن السطور الطويلة في (نصنا) لتصف تأليه (زيوسندرا) ذلك أيه، إثر سجوده أمام (آن) و (انليل)، منح الحياة بوصف إلهاً، كما منح (نفساً سرمدياً خالداً)، فاقرأ السطور الآتية:

- (أفصح (آن) و (انليل) عن (نفس السماء).
- وعن (نفس الأرض) بما عندهما من ...
- ومد نفسه....
- وتعالت الخضرة ناجمة من الأرض.
- وسجد (زيوسندرا) الملك أمام (آن) و (انليل)
- ومتّع كل من (آن) و (انليل): (زيوسندرا).
- لقد جادا عليه بحياة شبيهة بحياة إله
- ونفساً سرمدياً شبيهة بنفسه إله
- انزلاها له

- ثم أن (زيوسندرا) الملك...
- من حفظ النبات، وبذرة (بني الإنسان)
- في الأرض العبور (أرض ديلمون)

  المكان الذي تشرق فيه الشمس
- وجعلاه يسكن فيها.

● إن بقية (الرقيمة) الحاوية على نحو ٣٩ سطراً مهشمة لذلك لا نعرف شيئاً أكثر عما حدث لـ (زيوسندرا) الذي صيغ شكله في موطن الخالدين مجدداً.